اذا استعرضنا مئات الملصقات التي صدرت عن هيئات فلسطينية او مؤيدة خلال العشر سنوات الماضية يلفت نظرنا التطور المرتب وغير الشعوري الذي طرأ على الاجواء والموضوعات التي عولجت . وقد كانت تعكس هذه الملصقات ولا تزال الشعور الفلسطيني العام الذي رافق كل مرحلة من نضاله .

ونقتصر في قولنا هذا على الملصقات التي عالجت مواضيع عامة وشاملة وليس ملصقات المناسبات التي صدرت كردة فعل سريعة على حوادث معينة كاستشهاد فدائيين في معركة ما مع العدو او كتعليق على سياسة منحرفة او خطاب عدائي من قبل بعض الدول والشخصيات . فهذا النوع من الملصقات ، مهما غاليته وضرورته ، لا ينطوي عادة على اي قيمة فنية اذ ان تحضيره يتم بسرعة فائقة والغاية الاساسية منه هو الاعلان عن نبأ او موقف وليس التأثير المدروس على الرأي العام .

* * *

مرت مواضيع الملصقات الفلسطينية في نظرنا بثلاث مراحل واجواء واضحة المعالم رغم وجود بعض الشواذات . وكانت هذه المراحل انعكاسا مباشرا لنفسية الشعب الفلسطيني في فترات مختلفة من حياته .

المرحلة الاولى : هي اطول المراحل ، فقد امتدت من اوائل الخمسينات حتى اندلاع الشرارة الاولى للثورة . وكان من الطبيعي ان تعكس ملصقات هذه المرحلة البؤس والتشرد اكثر من غيرهما من النواحي الانسانية . فصورة الفلسطيني كانت دائما هي صورة اللاجىء المظلوم الذي يبغي عطف الناس وتأييدهم . كانت هذه الملصقات تسعى لافهام العالم بالاجحاف اللاحق بالشعب الفلسطيني . انها المرحلة التي كانت تظهر فيها فلسطين بشكل انسان مصلوب والفلسطيني اما بشكل شيخ عجوز ظهرت آثار الخوف والتعب على وجهه او بشكل طفل يحمل حمامة بيضاء في يده وكأنه يتسول او يطلب الشفقة . وحتى الملصقات المتفائلة فكانت تعكس أمان وطنية اكثر من واقع ملموس .

ورغم طول هذه الفترة فقد ظهر فيها العدد القليل من الملصقات والجيد منه فنيا كان نادرا . وكانت معظم هذه الملصقات تصدر في مناسبات اليمة كذكرى وعد بلفور او ذكرى تقسيم فلسطين وكان توزيعها يتم على نطاق محلي ضيق .

المرحلة الثانية : هذه المرحلة هي في الواقع المرحلة التي شهدت انطلاقة الملصقات الفلسطينية في المعنى الاعلامي الصحيح وفيها وصلت المستويات الفنية الى اعلى قممها . فمع انطلاقة اول شرارة للثورة بدأت الملصقات الجميلة الاخراج والمدروسة فنيا واعلاميا تظهر في كل مكان . وكانت هذه الملصقات ، كما هو متوقع ، تعكس الثقة الجديدة التي اكتسبها الشعب الفلسطيني نتيجة لانتفاضته الشجاعة . فصورة الفلسطيني تغيرت فجأة من الانسان المشرد المسكين الى الشاب القوي الثائر المفتول العضلات . أصبح الشعب الفلسطيني ماردا لا يطلب الشفقة من أحد . صور الشهداء الشباب احتلت مكان الرجل العجوز . والصبية الفلسطينية بدأت تظهر مع رفيقها الثائر وهي تحمل الكلاشينكوف بدل من ظهورها في خيمة البؤس وهي في حيرة من أمرها . حتى الاطفال أصبحوا اشبالا في مخيمات التدريب .

هذه المرحلة الرومنطيقية والمبنية في نفس الوقت على واقع ملموس ، اشترك في تصويرها بعض الفنانين العراقيين بجانب اخوانهم الفلسطينيين ، فجاءت أعمالهم ممتازة ومعبرة عن أماني الامة العربية كلها ، ومما لا شك فيه ان بعض هذه الملصقات سيخلد لجمالياته وحسن اخراجه .